استراتيجية الفداء

بقلم عبد القادر ياسين

ما ان سمع بما اقترفه ابن اخيه ، حتى القى بنفسه طعما لاكبر البراكين الثائرة في اليابان ، هربا من العار الذي لحق بالعائلة ، بفرار ابن اخيه – وكان قائدا في الجيش الياباني – الى صفوف اعداء بلاده الروس .

وكانت المفاجأة الاولى ، حين تسلل القائد المذكور عائدا الى بلاده، عشية انتهاء الحرب ، بعد ان لعب دورا هاما في تضليل اعدائه ، مما الحق بجيوشهم انكر الهزائم .

وكانت المفاجأة الثانية ، حين كشفت السلطات اليابانية النقاب عن علم العم المنتحر بالمهمة الوطنية لابن اخيه ، ورغبته في تأكيد خيانة ابن الاخ الهارب ، بالانتحار !

حدثت تلك الواقعة قبل اكثر من ستين عاما ، حين اشتعلت الحرب بين روسيا واليابان عام ١٩٠٤ . وبالرغم من بعد زمان تلك الواقعة عنا ، الا انها تلح على خاطري كلما جاء ذكر الفداء والتضحية ، لما تعطيه من نموذج مكثف للفداء ، يتعدى حد الخيال .

ما الفداء !

الفداء هو استعداد المرء للتضحية من اجل قناعاته ، ومثله ، ومعتقداته . ويعني – لغويا – احلال شيء مكان شيء اخر حماية له ، او تعويضا عنه .

والفدائية الاصيلة لا بد وان يكون حافزها نبيلا ، كايمان عميق بعقيدة ، او حب شديد لوطن ، او غيرة على حرمة . والفداء غير التهور والاندفاع الطائش ، ولا بد من اقترانه بعقيدة ، وطنية كانت ام طبقية .

ويختار المناضل طريق الفداء بملء ارادته وحريته ، ودونما ضغط خارجي ... وهذا « ريجي دوبريه » يؤكد : « ولا يستطيع اي رجل ان يأمر اي رجل اخر ان يضحي بنفسه في سبيل الحرية ، لان الرجال لا يضحون براحتهم ورفاهيتهم وباولادهم وبنور النهار ، ولا يموتون ، بناء على اوامر من اي انسان . وانما من اجل عقيدة يختارونها ولا يتخلون عنها » (١) .

ولا يضيع دم الشهداء هباء ، اذ يمثلون لشباب بلادهم انبل الالهامات ، واطهر الحوافز لمزيد من البسالة والجسارة ، مما يجدد دم الثورة ، ويضمن لها الاستمرار والتدفق . « وهناك رجال يكونون اكثر خطرا في مماتهم منهم في حياتهم ، حتى ولو ان اولئك الذين يخافونهم يقطعون ايديهم من اجسامهم ويحرقون جثثهم ويخفون رمادها » (٢) . كما « ان العنف ، كحربة آخيل ، يمكن ان يلأم الجروح التي يحدثها » (٣) .

والفداء قديم قدم الصراع الذي فجرته الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، والتي كانت افرازا طبيعيا للمجتمعات الطبقية ، التالية للمشاعية البدائية . وكان الفداء هنا ذودا عن الارض ، ثم ارتقى الى الانتصار للعقائد ، ثم عادت الارض لتكون الدافع الاول للفداء ، وفي يومنا هذا تشكل الارض والعقيدة معا والدفاع عنهما والانتصار لهما الحافز الاساسي للفداء والتضحية .

فمع نشوء الملكية في التاريخ ، انتعشت الرغبة في الاقتناء وتوسيع الملكية عند الاقوياء من البشر ، وفي المقابل استعد الاخرون للذود عن مزارعهم التي تقيم اودهم وتحميهم .

ومع اتساع رقعة الملكية الخاصة لوسائل الانتاج في المجتمع العبيدي ، اتسعت الارض التي يدافع عنها الانسان لتشمل كل ارض السيدة . ثم ازداد الاتساع ليشمل الاقطاعية في المجتمع الاقطاعي ، ثم الولاية او الامارة ، واخيرا الوطن وذلك مع افول المجتمع الاقطاعي وبداية المجتمع الرأسمالي .

ومنذ بدء مرحلة الاستعمار ، خاضت الشعوب في البلدان التي اصبحت هدفا للاحتلال والاستعمار ، حروبا باسلة غير متكافئة للذود عن اوطانها . وسمعنا العديد من قصص بطولة وفداء سطرها ابناء تلك البلدان ، من الهند والصين شرقا الى مراكش والجزائر غربا، ومن بلاد الشام شمالا الى جنوب افريقيا جنوبا .. كما قرأنا الكثير عن التضحيات الهائلة التي قدمها ثوار اميركا اللاتينية لطرد المستعمرين الاسبان والبرتغال من اوطانهم في القرن الماضي .

ومع كل دين جديد لا بد من ظهور عمليات تعذيب وقتل للعديدين من معتنقي ذلك الدين ... فمع ظهور المسيحية ، تفنن الاباطرة الرومان في تعذيب وقتل ابناء ومريدي الدين الجديد ، واعطى اولئك اروع الامثلة على التمسك بالعقيدة والاستشهاد دونها ، وتفضيلهم مصارعة الاسود ، وملاقاة الافاعي والحيوانات المفترسة والموت بين مخالبها وانيابها ، على ان يتنكروا لدينهم ، الذي وقع منهم في سويداء القلوب ، فحق لهم ان يضعوه في حدقات العيون .

كما كان لنا المسلمون الاوائل القدوة في الاستشهاد من اجل المبدأ ، وقصص تعذيب واستشهاد الكثيرين من عبيد قريش على يد شرفائها لا زالت ماثلة في ضمائرنا .

في فجر الاسلام

ولشعراء العرب – في صدر الاسلام وضحاه – الكثير من القصائد التي تحض على الفداء ، لعل من ابرزها تلك القصيدة للمتنبي، والتي يقول في احد ابياتها :

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تعيش جبانا

وقول قطري بن الفجاءة :

وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع

وقول شاعر عربي اخر :

فاقني حياءك لا ابالك ، واعلمي اني امرؤ سأموت ان لم اقتل

اما ابو بكر الصديق ، فهو القائل « احرص على الموت توهب لك الحياة » .

ولعلي بن ابي طالب مأثورة في البسالة والفداء ، حيث يقول : « والله ما ابالي ادخلت على الموت ، او خرج الموت الي » .

وما قالته اسماء بنت ابي بكر لابنها عبد الله بن الزبير ، حين خاف من تمثيل « الحجاج بن يوسف الثقفي » بجثته بعد قتله ، ما زال مضرب الامثال في رباطة الجأش ، وعدم الاهتمام بمصائر الافراد في مقابل الانتصار للعقائد والمبادىء ، حيث تقول له : « يا بني ،ماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها » ؟!

وحين تتفاقم الازمة في صفوف المسلمين ابان خلافة علي ، تطلع

---

(١) ريجي دوبريه ، مرافعته امام المحكمة العسكرية في بوليفيا ، الطبعة العربية ، ص ٦١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٢ .

(٣) سارتر في مقدمة (معذبو الارض) لفرانز فانون ، ص ٣٨ .

علينا « الخوارج » ، كفرقة فدائية تمثل التيار المتشدد في الاسلام ، ويخرج انصارها طالبين الموت دون عقيدتهم .

ويسارع ابو عبيدة الجراح لملافاة الفرس ، مغامرا بجعل النهر من خلفه ، محرضا جنده على طلب الشهادة ، قائلا لهم : « يجب ان لا يكونوا اجرأ على الموت منا » .

الحرب الفدائية في الاسلام

كثيرة هي صور الفداء في صدر الاسلام ، سواء في اشكالها الفردية او الجماعية . واساطير خالد وعلي وبن الخطاب وغيرهم من شجعان المسلمين اكثر من أن تحصى . والشهيد الحسين بن علي ، حين لم يكن يطلب منه اكثر من لوي لجام ناقته ، ليضمن بعد ذلك حياة ناعمة رغدة ، فضل الاستشهاد في سبيل المبدأ ، وخاض بالعشرات القليلة من رجاله الحرب ، ليفدي بروحه العقيدة التي طالما آمن بها ودعا اليها .

وكان سيف الدولة الحمداني امير حلب (القرن العاشر الميلادي) ينظم فرق الفدائيين لتخوض « حملات القفز » لمباغتة قواعد الاعداء في قمم الجبال المتفرقة ، وتسحقها .

اما صلاح الدين الايوبي ، فقد نظم ـ بالاضافة لجيشه النظامي ـ الجيش « المطوعة » ، وقوامه من المتطوعين الذين يتسلحون ذاتيا ، ويخوضون المعارك الانتحارية في الصفوف الخلفية للاعداء .

وقد استخلص المسلمون الاوائل الشروط اللازمة لنجاح العمل الفدائي ، من خلال تجاربهم النضالية . وهي لا تكاد تختلف كثيرا عن شروط العمل الفدائي المعاصر ، وهي :

١ ـ الدأب وطول النفس ، وهذا خالد بن الوليد يسير بين صفوف مقاتليه ، قائلا لهم : « ان الصبر عز ، وان الفشل عجز » .

٢ ـ السرية ، وكان الرسول يوصي جنوده وقادته على ضرورة استخدام « الرسائل المغلقة » .

٣ ـ الايثار ونكران الذات وعدم المباهاة .

٤ ـ الاستطلاع الواسع ، وهذا علي بن أبي طالب يوصي ابنه محمدا ، حين سيره على رأس حملة عسكرية : « ارم ببصرك اقصى القوم » . وعمر بن الخطاب يقول لقائده سعد بن ابي وقاص « تعرف الارض كلها معرفة اهلها » و « اذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك امرهم » .

٥ ـ الخداع ، وهذا محمد يقول : « الحرب خدعة » .

٦ ـ المبادرة والمباغتة ، وللرسول وصية لاحد قادة سراياه يقول له فيها : « اغر عليهم قبل ان تتلاقى عليك جموعهم » .

٧ ـ حماية ظهر العمل الفدائي ، والرسول يقول في ذلك : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في اهله بخير فقد غزا » .

ويحدد النبي الاشياء التي تستوجب الفداء ، فيقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد » .

الفداء اليوم

واذا كان جيفارا المثال الحي ـ اليوم ـ للايثار والتضحية وروح الفداء ، فان قصصا بطولية كثيرة قد سبقته . الا ان ايا منها لم يصل الى مستوى جيفارا في تضحيته ، وهو الذي تنازل ـ بمحض اختياره ـ عن مركزه كوزير وشخصية مرموقة في كوبا ، ليخوض غمار حرب فدائية في بلد ليس وطنه ، ويستشهد فيه ، بعد ان عانى الكثير من الجوع ، والبرد ، ومرض الربو ، وخيبة الامل في بعض من كان ينتظر منهم مؤازرته في بوليفيا !

وكانت الاحتكارية اليابانية قد تمكنت من تسخير ابناء الشعب الياباني لخدمة اغراضها التوسعية ، مضللة اياهم بانهم انما يموتون في سبيل « الميكادو » ، وانهم سيبعثون ـ لذلك ـ من جديد ! لذا فقد تميز الطيارون اليابانيون ـ ابان الحرب العالمية الثانية ـ بفدائية منقطعة النظير ، فقد كان الطيار منهم اذا عجز عن تدمير سفينة حربية معادية سرعان ما يهوي بطائرته في مدخنة السفينة ، لتنفجر طائرته والسفينة معا .

ومن القصص الفدائية المثيرة ، قصة الملحق العسكري الياباني في موسكو ، ابان الحرب العالمية الثانية ، والذي كان مثار شكوك المخابرات السوفياتية ، مما دفعها الى اعتباره شخصا غير مرغوب فيه . وكان قبل طرده من موسكو قد سلم المخابرات السوفياتية خرائط ومعلومات تكشف مواقع ، وكثافة ، ونوعية القوات اليابانية ومعداتها ، الا ان المخابرات السوفياتية لم تعر تلك الخرائط والمعلومات اي اهتمام ، نظرا لشكها في مقدمها . وعاد الملحق الى بلاده ، وفوجىء السوفيات بالحكومة اليابانية تعدم ملحقها المذكور ، بعد ان ادانته بالخيانة العظمى ، ولم يحتمل والده ، عضو مجلس الشيوخ ، الصدمة فانتحر . وهنا اسرع العسكريون السوفيات الى الخرائط والمعلومات التي كانوا قد اهملوها . واستعانوا بها في اعداد هجومهم على الجبهة اليابانية . الا انهم اكتشفوا ـ اثناء المعارك ـ ان تلك الخرائط والمعلومات كانت خادعة ووهمية ، مما انزل بالجيش السوفياتي خسائر جسيمة . وقد اتضح لهم في اعقا ب المعارك التي خاضوها مع الجيش الياباني ، ان الملحق لم يكن خائنا لبلاده ، وان الحكومة اليابانية منحته ووالده وسام الشمس الفضية ، اعترافا لهما بوطنيتهما وجسارتهما وتضحيتهما في سبيل انتصار وطنهما !

وتزخر المسيرة الكبرى في الصين بالكثير من مواقف البطولة والفداء ، لعل اشهرها ما فعله جنود الجيش الاحمر عندما اقتربوا من نهر يريدون عبوره ، ولا تصل حافتي النهر اية جسور ، بل وعلى الحافة الثانية كان جنود الكومنتانغ يتأهبون لاقتناص الصيد الثمين . وفجأة تشابك بعض الجنود الحمر ، كالحلقات ، من حافة الضفة الاولى حتى حافة الضفة الثانية للنهر ، ولم يفعل جنود الكومنتانغ ، امام هذا العمل الجسور ، الا ان اطلقوا لسيقانهم العنان ، بعد أن اطلقوا طلقات متفرقة على ذلك الجسر البشري !

وفي صباح الثالث من تموز (يوليو) عام ١٩٤١ ـ أي بعد احد عشر يوما من بدء الهجوم الالماني ـ وجه ستالين نداءه الى شعوب الاتحاد السوفياتي ، كي تقيم في المناطق التي يحتلها النازيون «وحدات من الانصار ، راجلة وخيالة ، وتنظم جماعات للتشتيت ، معدة لقتال القطعات المعادية ، وللشروع في حرب العصابات بتدمير الجسور والطرقات ، وقطع خطوط المواصلات الهاتفية والتلغرافية ، وحرق الغابات وتدمير المستودعات والقطارات . وينبغي ان تصبح الحياة في المنطقة المحتلة غير ممكنة للعدو او للمتعاونين معه . ينبغي ان يطارد العدو ويدمر اينما وجد ، كما ينبغي نسف وعرقلة كل التدابير التي يأمر بها » .

ويحدد احد قادة الانصار المهام التي كانت موكلة اليهم ، بانها « .. الاستطلاع في المدن ومحطات الخطوط الحديدية الهامة . وكان ينبغي تحري اخبار العدو وتبليغها الى موسكو : المعلومات عن قواته ، واماكن وجود المصانع الحربية والمستودعات ومراكز القيادة ، ومعرفة عدد واتجاه قواته واسلحته ، ومعرفة كل اسرار الالمان العسكرية.والى جانب هذا كله كان ينبغي ان نكبد الالمان اضرارا انى تسمح لنا فرصة ذلك » (٤) .

لقد لعب الانصار السوفيات دورا هاما في دحر النازيين الالمان وهزيمتهم .

ويوميات « جوبلز » توضح لنا مدى اهمية وفعالية الانصار السوفيات ، اذ يقول :

« ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٢ ـ يتطور خطر الانصار في المنطقة الروسية المحتلة بسرعة متزايدة ، فلقد عانينا كثيرا من الصعوبات خلال الشتاء ، الا ان هذه الصعوبات لم تنته بظهور الربيع . فعلى الجبهة

---

(٤) « كان هذا في ضواحي روفنو » ، ديمتري ميدفيديف ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

الوسطى ، نسف الانصار الخط الحديدي في عدة اماكن بين بريانستك وروسارو . ان نشاطهم يثير الحيرة والاضطراب » (٥) .

والصراخ الهستيري الذي يطلقه الاسرائيليون ، عند اصطدامهم بقوة من الفدائيين :

ـ فدائيم استسلم !

ويرد الفدائي عليهم :

ـ الفلسطيني لا يستسلم .

يذكرنا هذا الديالوج المثير ، الذي طالما دار بين الجنود الالمان والانصار السوفيات ، حين كان يصيح الالمان :

ـ استسلم ، ايها الروسي !

فيجيبهم الانصار وهم يطلقون النار :

ـ البلاشفة ابدا لا يستسلمون .

ونسجت الحرب الفيتنامية ضد المستعمرين الفرنسيين اروع اساطير البسالة والفداء . وها هم الفلاحون البسطاء ـ اثناء معركة ديان بيان فو ـ يلفون احزمة الديناميت حول اجسادهم ، ويقتحمون بها خطوط الاعداء لفتح الثغرات في حصون « ديان بيان فو » وتمكين قوات الفيت منه من اختراق القلعة واحتلالها .

وكان هؤلاء البسطاء يموتون من اجل حياة سعيدة لابنائهم وللاجيال القادمة من ابناء شعبهم .

اما قصص بطولة الشعب الفيتنامي اليوم ، فلا زال تدفقها يفقدنا القدرة على ملاحقتها وتصويرها .

ولمائة وثلاثين سنة ظل الشعب الجزاري يقدم الشهداء قوافل في قوافل ، مسجلا بذلك اصدق آيات الفداء من اجل الارض والوطن.

والاصرار في التجربة الكوبية على تخليص البلاد من حكم العميل « باتيستا » ، لا يقل في روعته عن التضحيات العظيمة التي قدمها ابناء الشعب الكوبي لتحرير وطنهم وبناء الاشتراكية فيه .

الفداء في فلسطين

صامت لو تكلما ... لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته ... خلق الحزم ابكما
واخو الحزم لم تزل ... يده تسبق الفما
لا تلوموه قد راى ... منهج الحق مظلما
وبلادا احبها ... ركنها قد تهدما
وخصوما ببغيهم ... ـ ضجت الارض والسما

بهذه القصيدة يصور لنا الشاعر الفلسطيني « ابراهيم طوقان » الفدائي الفلسطيني ، ولماذا اختار طريق الفداء .

اما الشاعر الفدائي « عبد الرحيم محمود » فقد انخرط في سلك الثوار عام ١٩٣٦ في فلسطين ، وبعد فشل الثورة يلجأ الى العراق ، وهناك يقول قصيدته التي يبث فيها بلاده حبه وشوقه :

يا بلادي يا منى قلبي ... تسلمي انت فالدنيا هذر
لا ارى الجنة ان ادخلها ... وهي خلو منك الا كسقر
منيتي في غربتي قبل الردى ... ان يملى من مجاليك النظر
ظمئت نفسي لمثناك فهل ... يطفىء الحرقة بالعود القدر ؟!

وتثير فيه انتكاسة ثورة ١٩٤١ الوطنية في العراق الحمية ، فيعود لمناداة ابناء شعبه :

بني وطني دنا يوم الضحايا ... اغر على ربى ارض المعاد
فمن كبش الفداء سوى شباب ... ابي لا يقوم على اضطهاد
ومن للحرب ان هاجت لظاها ... ومن الاكم ، قدح الزناد
فسيروا للنضال للحق نارا ... تصب على العدى في كل واد
فليس احط من شعب تعبد ... على الحلى وموطنه بنادي

ولما قامت حرب ١٩٤٨ سارع الى وداع طلبته في كلية النجاح بمدينة نابلس ، والتحق بجيش الانقاذ في شمال فلسطين ، وبقي هناك حتى بعد انسحاب جيش الانقاذ ، وفي الثالث عشر من حزيران(يونيو) ١٩٤٨ اصيب في « معركة الشجرة » بشظية قنبلة ، وفيما كانت السيارة تنقله الى مستشفى الناصرة سقطت في واد فاستشهد ، ولا زالت قصيدته ـ التي يفسر فيها ما الفداء ولماذا ـ لا زالت في ضمائر كل الوطنيين الفلسطينيين ، حيث يقول :

سأحمل روحي على راحتي ... والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق ... واما ممات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان ... ورود المنايا ونيل المنى
ارى مقلتي دون حقي السليب ... ودون بلادي هو المبتغى
لعمرك هذا ممات الرجال ... ومن رام موتا شريفا فذا
بقلبي سارمي وجوه الغزاة ... فقلبي حديد وناري لظى
واحمي حياضي بحد الحسام ... فيعلم قومي بأني الفتى

وتحرك بسالة الفدائيين في القتال حمية الشاعر معين بسيسو الطالب الفلسطيني بالقاهرة انذاك ، فيصدر قصيدته « المعركة » التي مطلعها :

انا ان سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحلل مكاني لا يخفك دمي يسيل من السلاح

وما ان يتخرج الشاعر حتى يسافر الى عراق نوري السعيد ، حيث روعته المجازر البشرية هناك ، ويعود الى غزة ليبدأ في المعاناة الحقيقية مع ابناء شعبه ، ويقول في حب بلاده قصيدة مطلعها :

يا ايادي ارسمي من دمي ومن اصفادي خريطة لبلادي

ثم هو يطالب الامهات بتشجيع ابنائهن على البذل والنضال والتضحية ، فيقول :

من لم تودع بنيها بابتسامتها الى الزنازين لم تحبل ولم تلد

ويشتد العسف ، ويقع العدوان الثلاثي ، وتحتل القوات الاسرائيلية قطاع غزة ، وتلاحق المناضلين ، ويقع احد رفاق معين في قبضة الاسرائيليين ، وينهار ويدلي باعترافات كاملة عن اسماء رفاقه للضابط الاسرائيلي المشرف على تعذيبه . فتحرك تلك الواقعة المشينة معين في حينه ، ويقول قصيدته « المرتد » التي مطلعها :

اخي لو شحذوا السيف على عنقي فلن اركع
ولو في فمي الدامي حبال سياطهم تنقع
فلن ارجع عن فجري ، لن ارجع ، لن ارجع
من الارض التي من ثديها بركاننا يرضع
اخي ، لو جرني الجلاد قدامك للمذبح
لكي تركع ، ترجوه بأن يعفو وان يصفح
اخي ، ارفع رأسك الشامخ كي تشهدني اذبح
لكي تشهد جلادي ، والسيف الذي يرشح
اخي ، من يفضح الجلاد ، غير دمائنا تفضح

***

ولقد كان الفداء قد طبع المقاومة الفلسطينية للاحتلال البريطاني ، فمنذ عام ١٩١٨ والهبات والثورات تتوالى في استمرار متقطع في فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية ، فمن هبة ١٩٢٣ ، الى هبة ١٩٢٩ ، الى ثورة القسام ١٩٣٣ ، الى الثورة الوطنية الكبرى ، والتي امتدت من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ ، وكان الفداء هو الخيط الذي يتخلل كل تلك الهبات والثورات .

وكان الشعب يقدم الشهداء اخلاصا منه لمبادئه الوطنية ، ودفاعا منه للارض التي تكالبت عليها الصهيونية والاستعمار البريطاني . الا انه يجب الاعتراف هنا ان القيادات الفلسطينية انذاك كانت عاجزة ـ بسبب طبيعتها الرجعية وقصورها الفكري ـ عن وضع استراتيجية للثورة الفلسطينية ، مما جعل الاحداث تتقاذفها ، واهدر الكثير من الدماء في غير مجراها الحقيقي .

اما اليوم فان نظرية للثورة الفلسطينية تكاد ان تكتمل ، بعد ان تسلم المقاتلون زمام معركتهم بانفسهم ، وبعد السنوات الطويلة من

---

(٥) ـ (حرب العصابات السوفياتية) ص ٢٩ .

التضحيات لاكتشاف قوانين تلك النظرية . وهكذا يودع الشعب الفلسطيني مرحلة التخبط والارتجال والعجز والقصور في المجالين النظري والعملي ، والتي دامت اكثر من خمسين عاما ، دفع فيها الشعب الثمن غاليا .

وهذا ياسر عرفات ، في حديث له مع مجله « جون افريك » في اوائل مايو الماضي ، يحدد هدف « الفتح » ، قائلا : « هدفنا هو ان نوجد قوة ثورية فلسطينية قادرة على التصدي لتحدي العدو في اي مجال ، اما من الناحية العسكرية فان هدفنا هو تقطيع أوصال اجهزة الدولة العنصرية الفاشية الاسرائيلية ، ومن الناحية السياسية نريد اقامة دولة فلسطينية تقدمية ديمقراطية ، تضمن فيها كل الحقوق المشروعة لجميع السكان » .

وفي حديث له مع جريدة « الجمهورية » القاهرية ، قال احد قادة الفدائيين : « .. ورسمنا منذ البداية خطنا السياسي على اساس تحرير فلسطين وبناء مجتمع ديمقراطي تقدمي يحفظ للانسان فيه حقه الطبيعي في العيش دون تمييز في الدين او العقيدة » .

« والجبهة الوطنية مطلب شعبي ، وشعار ثوري لا بد ان يتحقق من خلال الفعل والممارسة ، وليس من خلال عمليات تنسيق ولقاء مظهري بهدف المشاركة في تسيير دفة النضال وليس المشاركة بالعمل في القواعد » .

و « .. خلق الجبهة العربية المساندة للثورة الفلسطينية المسلحة » . « ولا يكفي ايها الرفاق ان نخلق تيارا فضفاضا يؤمن بصحة اتجاه ثورتنا ، ولا بد ان يتبلور هذا التيار في شكل منظمة » .

« وحددنا اهدافنا بما يلي :

١ ـ تحرير فلسطين تحريرا كاملا من الاحتلال الصهيوني .

٢ ـ تصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسيا وعسكريا واجتماعيا وفكريا .

٣ ـ اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة،تحفظ للمواطنين الاصليين حقوقهم الشرعية دون تمييز في الدين او العقيدة .

٤ ـ بناء مجتمع تقدمي على اسس ديمقراطية شعبية عادلة .

٥ ـ ضمان حقوق الانسان والحريات العامة لكافة المواطنين .

٦ ـ المشاركة الفعالة في تحقيق اهداف الامة العربية وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد .

٧ ـ مساندة الشعوب المضطهدة في تحرير اوطانها وتقرير مصيرها من اجل بناء صرح السلام العالمي على اسس عادلة » (٦) .

وتمثل تلك البنود السبعة ـ في رأيي ـ الطرح الصحيح لقضيتنا الوطنية . وبدون الوضوح السياسي ، وبدون خط سياسي وخط عسكري صحيحين فان دم الشهداء سيهدر عبثا ، ودم الشهيد ـ كما يقول ريجي دوبريه ـ ليس حجة سياسية .

وقد ادى الطرح الصحيح لقضيتنا الوطنية الى اعادة ترتيب قوات الثورة ، وتغيير مواقعها ، ليأخذ الشعب الفلسطيني موقعه الصحيح كطليعة للتحرير ، بعد ان ظل طوال عشرين عاما تحت وصاية المزايدين والمساومين من الزعماء العرب ، مبعداً عن مكانه الصحيح وخندقه الاصيل .

ويكتسب العمل الفدائي الفلسطيني اليوم اهميته ، ليس فقط في طرحه الصحيح للقضية الفلسطينية ، بل باعتباره اول عمل شعبي بحت يجري لطرد المحتل الاجنبي من الارض العربية . صحيح ان صلاح الدين سبق وجهز الحملات لطرد الصليبيين ، ونجح في ذلك ، الا انه فعل ذلك من موقع السلطة .

ومما يزيد في اهمية دور العمل الفدائي ـ ايضا ـ انه يعمل لتحطيم اطماع الصهيونية ، التي يسيل لعابها لابتلاع مزيد من الاراضي العربية ، بعد ان قاربت على الانتهاء من هضم كل فلسطين !

كما ان العمل الفدائي ، لا شك ، يحدث الكثير من التغييرات في مواقع العديد من الطبقات والفئات في البلدان العربية ، ويعجل في انضاج الظروف الثورية في البلاد العربية .

ويمنع العمل الفدائي بعض القادة العرب من التوصل الى تسويات ومساومات مع الصهيونية والاستعمار ، بما يشكله من تهديد لانظمة اولئك القادة .

هذا بالاضافة الى ما احدثه من تغيير في نظرة اجزاء ليست بالبسيطة من الرأي العام العالمي تجاه فلسطين وشعبها ... حيث اوضح العمل الفدائي ان قضيتنا الوطنية هي قضية تحرير وطني وليست « قضية لاجئين » ، وان شعب فلسطين قد نبذ الى الابد الديكور الاستعماري ، الذي حوله ـ لاكثر من ثمانية عشر عاما ـ الى شعب لاجيء يستحق العطف وفتات الموائد !

ولزيادة دور وفعالية العمل الفدائي الفلسطيني ، لا بد له من :

١ ـ ان يأتي انعكاسا لوحدة وطنية شاملة ، بما يحقق وحدة البنادق على ارض المعركة .

٢ ـ الارتباط بالمعركة النظامية العربية ... التمهيد لها ، ومؤازرتها .

٣ ـ التركيز على بناء المزيد من القواعد داخل الوطن المحتل .

٤ ـ اقامة العلاقات وتمتينها مع الحركات الوطنية العربية ، والتنظيمات التقدمية في العالم .

٥ ـ منح العمل السياسي ـ محليا وعالميا ـ مزيدا من الاهتمام ... اذ تزداد امكانية نجاح العمل الفدائي بدعمه بمقاومة سياسية صائبة ونشطة .

٦ ـ تجنب تجميع قوات الفدائيين في قواعد ثابتة .

واذا كان العمل الفدائي هو الان الشكل الاساسي للنضال في الوطن المحتل ، فان نشوب معركة نظامية بين الدول العربية واسرائيل، يعني ان يصبح العمل الفدائي العامل المساعد للحرب النظامية ، في حين تصبح تلك الحرب والعمل السياسي هما الشكل الرئيسي للنضال من اجل التحرير وتحطيم جهاز الدولة الاسرائيلية .

عبد القادر ياسين

---

(٦) من حديث لبشير المغربي الى الكاتب المصري طاهر عبد الحكيم « الجمهورية » أيار (مايو) ١٩٦٨ .

زوروا

مكتبة الفجر

بواد مدني ـ السودان

ص. ب ٣٥١ ـ تلفون ٥٥٧

كتب علمية وسياسية وادبية